جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

شعبة التاريخ

تاريخ شرق إفريقيا قبل القرن السابع الميلادي

ملخص محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

تقديم الدكتور سليماني يوسف

الموسم الجامعي 2020/ 2021

المحور الأول: جغرافية المنطقة وأصل السكان:

أولا: جغرافية منطقة شرق إفريقيا

تتناول الدراسة في منطقة شرق إفريقيا المنطقة التي تمتد من الحدود الشمالية لإيريترية حتى الحدود الجنوبية لدولة موزمبيق، أو هي المنطقة المطلة على سواحل البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي، وتمتد المنطقة في الدّاخل حتّى بلاد السودان الحالي، ومنطقة البحيرات الكبرى، وبحيرة تنجانيقا وتمتدّ في الجنوب حتّى موزمبيق، وفي الشمال حتىّ الصومال، كما يشمل مصطلح شرق إفريقيا كل الجزر المواجهة للسواحل الشرقية في القارة، والتي تقع داخل المحيط الهندي وتشمل جزر ممباسا (منبسي)، وكلوة، زنجبار، ماليندي، مافيا، بمبا، حزر القمر، مايوت وغيرها من الجزر الأخرى.

ويمكن تقسيم شرق إفريقيا إلى عدة مناطق على حسب الدول الحالية، تتمثل في: **منطقة القرن الإفريقي** التي تضم كل من الصومال، إثيوبيا، إريتريا، وجيبوتي، **منطقة وادي النيل أو النوبة** وهي بلاد السودان الحالي اليوم، منطقة البحيرات الكبرى، وتشمل أوغندة، روندا، بورندي، منطقة الساحل الشرقي والأوسط والجنوبي لإفريقيا، وتضم كينيا، تنزانيا، موزمبيق، وحتى مدغشقر.

أما بخصوص أهم المسطحات المائية والأنهار التي توجد بالمنطقة، فلدينا البحر الأحمر، وخليج عدن الذي يفصل بين شبه الجزيرة العربية، ومنطقة القرن الإفريقي، المحيط الهندي الذي تطل منه معظم دول الساحل الشرقي من الصومال إلى موزمبيق، وإلى جانب ذلك نجد نهر النيل الذي ينبع من منطقة البحيرات، ويمر ببلاد السودان باتجاه مصر، وله عدة روافد أهمها النيل الأزرق القادم من هضبة الجبشة والنيل الأبيض القادم من بحيرة فيكتوريا[1]، وهي المنبع الرئيسي للنيل، بالإضافة إلى بحر الغزال في الجهة الغربية للسودان وشرق تشاد.

---

[1] بحيرة فيكتوريا، أو فيكتوريا نيانزا تعدّ من أكبر البحيرات في إفريقيا، والثانية عالميًا تقع في منطقة منخفضة في وسط الهضبة الإستوائية، تبلغ مساحتها 96000 كم^2، أي ما يعادل مساحة إيرلندا، شواطؤها جميلة، ومشوقة، لكن من المستحيل على المرء أن يسبح فيها بسبب التماسيح، والفيروسات المنتشرة بها، أنظر،

- محمّد عوض محمّد: **نهر النيل**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962

وعلى غرار ذلك تتوفر منطقة شرق إفريقيا على عدة بحيرات أكبرهم وأشهرهم هي فيكتوريا التي تقع في أوغندة، وهي المنبع الرئيسي للنيل، إلى جانب عدة بحيرات أخرى في أوغندة هي كيوجا[2]، ألبرت، إدوارد[3].

أما في تنزانيا فنجد بحيرة تنجانيقا كأهم وأكبر بحيرة بالمنطقة، وإلى الجنوب من ذلك توجد بحيرة نياسا التي تقع في الحدود بين جنوب تنزانيا، والشمال الغربي لموزمبيق، وشرق مالاوي (نياسالاند).

وطبيعة المناخ السائد في شرق إفريقيا نجد المناخ الاستوائي هو الغالب على العديد من الدول خاصة الواقعة في خط الاستواء كإثيوبيا، أوغندة، رواندا، بورندي، تنجانيقا، إلى جانب المناخ الحار والجار في الصومال، والحار الرطب في موزنبيق، في حين يسود مناخ البحر المتوسط في سواحل السودان المطلة على البحر الأحمر، والمناخ الشبه الصحراوي في الشمال والوسط منه.

أما فيما يخص المرتفعات نجد جبال الكليمنجارو 5895 متر في تنجانيقا كأكبر الجبال ارتفاعا في إفريقيا، ورابعا عالميا، وهضبة الحبشة، وجبال النوبة، وجبال فيرونجا، أو رونزوري حيث يبلغ ارتفاعه 5109 متر وتمتد من أوغندة إلى رواندا وبورندي حتى جمهورية الكونغو، وجبال باتيان وهو ثاني أعلى قمة في إفريقيا يقع في كينيا ارتفاعه 5199 متر.

ثانيا: أصل سكان منطقة شرق إفريقيا:

لا يُعرف الكثير عن أصل سكان شرق إفريقيا في عصور ما قبل التاريخ على وجه اليقين، ولكن يبدو أن أقدم السكان الذين عُرفوا فيما بعد قد عاشوا في المنخفضات تاركين السهول غير المأهولة، ويُرجع المسعودي أصل سكان تلك الأنحاء جميعها إلى أبناء كوش بن كنعان بن نوح عليه السلام حيث يقول: "ولما تفرق ولد نوح سار ولد كوش بن كنعان نحو

---

[2] عبارة عن الشطر الغربي لسلسلة من البحيرات، والمستنقعات الواقعة في منخفض الأرض فيما بين خطي عرض 1 و2 شمالا، وبينها، وبين بحيرة فيكتوريا، أراض، وتلال مرتفعة، مستواها منخفض على مستوى بحيرة فيكتوريا، تّم اكتشافها لأول مرة من قِبل الغربيين، حيث وصل إليها لأول مرة الأمريكي "شاي لونـج" في 1874، وكانت تُعرَف قبل هذا التاريخ ببحيرة 'إبراهيم باشا' (والد الخديوي إسماعيل) أنظر:

- إلهام محمّد علي ذهني: **بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث**. ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2009. ص237.

[3] واحدة من البحيرات الواقعة في شمال غرب أوغندة وهي في الحد الفاصل بين أوغندة وجمهورية الكونغو الديمقراطية، أنظر:

- Battistini René : **Géographie de L'Afrique oriental : Kenya, Uganda et Tanzanie**. Centre de documentation universitaire, Paris, 1969, p 20.

المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة بين المشرق والمغرب، وهم النوبة والابجة والزنج..."

ويقول في موضع آخر "وقطعت الزنج دون سائر الأحباش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب في بحر الزنج (نهر جوبا؛ أي النيل الأزرق)، فسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم إلى بلاد سفالة، وهي أقاصي بلاد الزنج"، وذلك كله قبل الميلاد.

والأحباش أنفسهم يدعون أنهم من نسل كوش بن حام[4] لكن المسعودي ذكر أنهم يُنسبون إلى كوش بن كنعان بن نوح عليه السلام، ويُحتمل أن يكون زنوج إفريقيا الذين يقيمون في الربع الشمالي الغربي استوطنوا الربع الشمالي الشرقي عندما وفدت عليهم هجرات حامية[5] قوقازية عن طريق شبه جزيرة العرب.

أبرز الهجرات العربية إلى بلاد شرق إفريقيا قبل الميلاد:

الأحباش الأوائل (الحاميون Hamites):

أثبتت الشواهد التاريخية أن المهاجرين الأوائل إلى منطقة شرق إفريقيا مانوا من الحاميين الذين نزحوا إليها في موجات متتابعة عن طريق باب المندب وسيناء في حقب غير معروفة قبل الميلاد، وطردوا الزنوج إلى الداخل وإلى الجنوب، وعُرف هؤلاء الحاميون باسم "الكوشيين"،

وقد شكلوا طبقة ارستقراطية بين الشعوب التي سيطروا عليها، والذين احتفظوا منهم بنقائهم الجنسي، وهم البجة في الشمال (السودان الحالي)، البيلين في إيريتريا، والأجاو في قلب المرتفعات بهضاب إثيوبيا، واحتل هؤلاء الحاميون المرتفعات الحبشية المعتدلة وتأثروا بالساميين الذين الذين امتزجوا بهم عندما وفدوا فيما بعد.

الساميون:

[4] سلالة حام هي النحو التالي: 1/ كوش هو أبو النوبيون، والبجة، ويقال لهم الكوشيون، 2/ مصرابيم وهو أبو المصريين، 3/ فوت هو أب الأمازيغ، 4/ كنعان هو أبو الحوريون والجرجاشيون.

[5] الحاميون نسبة إلى حام بن نوح عليه السلام، وهو الإبن الأصغر لأبناء نوح الاربعة ثلاثة آمنوا به وركبوا السفينة، وواحد غرق هو يام، وهم على التوالي: سام، يافت، يام، حام.

بعد الحاميون هاجر الساميون إلى تلك المنطقة من شبه الجزيرة العربية، والتي شبهها علماء تاريخ الأجناس البشرية بالمستودع البشري الذي ظل يفيض بهجرات بشرية على مدى التاريخ، فقد هاجروا منها على إثر الجفاف بعد انتهاء العصر المطير.

الجالا والصومال:

هم مهاجرون حاميون عبروا بوغاز باب المندب، وخليج عدن في عصور قديمة، واستقروا في البداية ببلاد الصومال بين نهر ويبي وخليج عدن وأخذوا أثناء امتدادهم يختلطون بالزنوج ويتزاوجون معهم، وانقسموا إلى ثلاثة أقسام كبيرة:

القسم الأول: الذين هاجروا شمالا إلى سهل الدناقل (دنقلة)، والمناطق الساحلية على البحر الأحمر ويعرفون بـ "عفر ساهوا"، وهم قبائل رعوية تعيش على السلب والغارة.

القسم الثاني: وهم الذين بقوا في أماكنهم وانتشروا انتشارا طبيعيا فيما حولهم حتى وصلوا المجرى الأسفل لنهر تانا في كينيا؛ إذ يعيش بعضهم فيها والبعض الآخر في إثيوبيا الحالية بمنطقة أوغادين (أوجادين)، واختلطوا مع المحليين ويعرفون اليوم باسم الصوماليين، وهم قبائل رعوية أَطلق عليهم الكتاب العرب لفظ البرابر.

القسم الثالث: وقم قبائل الجالا، وهم أكثر عددا من الصوماليين هاجروا شمالا وجنوبا وغربا، وزحفوا حتى على الحبشة واختلطوا مع الساميين، فتغير نظامهم الاقتصادي من الرعي إلى الزراعة.

<u>البجة أو البجاة:</u>

هو اسم لتلك القبائل الحامية الشمالية، وإن كان الإسم المتداول اليوم هو البِجة، ويرجع نسب البجة إلى تلك القبائل التي نزحت في بادئ الأمر من جزيرة العرب ثم اتصلت بقدماء المصريين، ومن هنا كانت الروابط بينهما منذ القدم، وقد عاشوا في المنطقة التي تمتد بين البحر الأحمر شرقا، ونهر النيل وعطبرة غربا، ومن المنحدرات الشمالية لهضبة الحبشة في الجنوب إلى شمال إقليم أسوان في مصر، وبمرور الوقت قويت صلاتهم مع المدن الكبيرة المستقرة على شاطئ النيل مثل مروى، ودنقلة، ولكنهم لم يتأثروا بالمسيحية، وبقوا على وثنيتهم لمدة طويلة حتى جاء الإسلام.

وانقسمت قبائل البجة إلى ثلاث مجموعات هي:

المجموعة الشمالية: وهم العبابدة كانت لهم علاقات وثيقة بالفراعنة، واتخذوا اللغة العربية لغة رسمية لهم.

المجموعة الجنوبية: وهم بنوا عامر كانوا تحت التأثير الحبشي الشديد وتكلموا لغة التيجري.

المجموعة الوسطى: ويعرفوا بالبشارة والهدندوة، وقد احتفظوا بلغتهم ذات الطابع الكوشي

ولكن مع ظهور الإسلام وبداية انتشاره في المنطقة أسلمت جميع المجموعات واعتنقوا الإسلام وخضعوا للمؤثرات العربية، واتخذوا مظاهر الحياة العربية ووسائل حياتهم الاقتصادية والاجتماعية، وهو الأمر الذي جعلهم يدخلون في صراعات طويلة مع ممالك النوبة المسيحية، خصوصا خلال القرنين السابع والثامن الميلادي.

الزنوج:

يرجع المسعودي اصل الزنوج إلى أبناء كوش بن كنعان بن نوح عليه السلام، وقد اختلط معظم هؤلاء الزنوج بالقوقازيين من الحاميين والساميين، وتزاوجوا معهم على امتداد التاريخ، ويطلق على نتاج هذا التزاوج اسم البانتو[6] الشرقيين[7]، وقسم المسعودي بلادهم إلى ثلاثة أقسام بلاد الزنج، وسفالة الزنج (الموزنبيق وزيمبابوي)، وبلاد الواق واق[8] (مدغشقر).

وهذه الأخيرة أقصاها جنوبا أي على السواحل الشرقية الجنوبية للقارة الإفريقية في المنطقة من موزنبيق حتى مدغشقر، وقد اتخذه الزنج دار مملكة وملّكوا عليهم ملكا سموه وقليمي أو وقليمن معناه إبن الرب الكبير فمتى جار عليهم قتلوه.

وعاش هؤلاء حياة قبلية تستأثر كل قبيلة بمنطقة وتعتبرها منطقة نفوذ لها، كما انتشرت بينهم حياة السلب والغارة، وكانوا كما يقول المسعودي قبل دخولهم الإسلام عراة أو شبه عراة متخلفين في ميدان الحضارة بالرغم من وجود ثروات طبيعية ضخمة نباتية وحيوانية ومعادن نفيسة استغلها مع مرور الوقت تجار عمان وشيراز.

---

[6] يمثلون ثُلثي زنوج إفريقيا، وحاول العلماء تحديد الوطن الأصلي للبانتو، وتوصلوا إلى تحديد موطنهم الأصلي الذي يعود إلى منطقة خليج بيافرا، في الحدود بين نيجيريا والكمرون، وعليه يبدأ خطّ البانتو من خليج بيافرا على المحيط الأطلسي في الغرب، ويمتد متعرجا إلى شمال بحيرة فيكتوريا، وينتهي شمال خطّ الإستواء بقليل عند المحيط الهندي، ولا يُزاحم البانتو في أوطانهم سوى سلالتين ظئيلتي العدد هما، البوشمن، والهيتنتوت، إلى جانب وجود بعض العناصر الدخيلة مثل البوير، والأوربيين في الأطراف الجنوبية للقارة، وبعض الشعوب النيلية الحامية في الشرق، ومعنى كلمة بانتو هي رجال، أو مجموعة إنسانية ، أنظر:
- محمّد عوض محمّد: **الشعوب، والسلالات الإفريقية**، الدار القومية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965، ص 65.

[7] والبانتو الشرقيين بدورهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هم: الشماليون، ويُطلق عليهم اسم 'بانتو البحيرات' (Lacustrains)، ويتجمعون حول بحيرتي فيكتوريا، وألبرت، ومنهم الباغندة، والبانتو الشماليون الشرقيون، وينحصرون في كينيا، وتنزانيا، والبانتو الجنوبيين الشرقين، وهم البانتو الخِلص. أنظر،
- ظاهر جاسم، محمد. **إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال**. المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،2002، ص 15.

[8] الواق واق نسبة إلى شجر يُنتج ثمار ملق بشعر يشبه شعر النساء لما تسقط هذه الثمار تحدث صوت على نغمة واق واق.